تاريخ استقبال المقال: 2018/01/26 تاريخ قبول نشر المقال: 2018/05/05 تاريخ نشر المقال: 2018/7/10

أسلوب الفصل والوصل في القرآن الكريم من خلال تفسير الألوسي

نصر الدين شيحا
قسم اللغة والأدب العربي
كلية الآداب واللغات
جامعة 08 ماي 1945 – قالمة - الجزائر
chihanasro@yahoo.Fr

الملخّــص:

الفصل والوصل من أهم موضوعات البلاغة، وقد ربط بعضهم هذا الأسلوب بمعرفة البلاغة ولذلك قيل: البلاغة معرفة الفصل من الوصل. وهذه المعرفة أمرٌ ضروري في لغة القرآن، إذ تتوضح من خلالها الكثير من المعاني والأحكام، وسنعرض في هذه الدراسة لهذا الأسلوب من خلال تفسير الألوسي، وما يضيفه من دلالات وأغراض بلاغية .

وقد تتبع الباحث هذا الأسلوب وما يحدثه من أثر في النص القرآني، عن طريق استعراض بعض النماذج القرآنية في تفسير الألوسي دراسة وتحليلا.

الكلمات المفتاحية: الفصل والوصل، الألوسي، الدلالات، الأغراض البلاغية.

Résumé :

La séparation et la liaison sont les sujets les plus importants dans la rhétorique. Certains chercheurs ont lié ce style avec la connaissance rhétorique. Ils ont même défini que la rhétorique c'est le pouvoir de distinguer entre la séparation et la liaison. Cette connaissance est une question très nécessaire dans le Coran, où de nombreux sens et principes se manifestent à travers elle. Dans cette étude, nous allons présenter cette méthode à travers l'exégèse d'Alusi en plus des dénotations, des fins rhétoriques.

Le chercheur a étudié ce style et son impact dans le texte coranique à travers une révision, une étude et une analyse de certains modèles coraniques dans l'exégèse d'Alusi.

Mots clés : séparation et liaison, alusi, dénotations, objectifs rhétoriques.

Abstract:

Separation and linking are of the most important topics in rhetoric. Some researchers linked this style with rhetoric knowledge and even said that rhetoric is the ability to distinguish between separation and linking. This knowledge is a very critical matter in the

Holly Quran where many meaning and principles manifest through it .In this study we will present this method through Alusi's exegesis in addition to the denotations, rhetorical purposes.

The researcher studied this style and its impact in the Quranic text through a review, study and analysis of some Quranic models in Alusi's exegesis.

Keywords: separation and linking, Alusi, Denotations, rhetorical purposes.

مفهوم الفصل والوصل:

وصفه الجرجاني بقولهِ : "ما من علـــم من علوم البلاغة أنت تقول فيه: أنه خفي غامض، ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى، وأدق وأصعب"[1] "وذلك لغموضهِ، ودقة مسلكهِ"[2] حتى أن بعضهم جعلَهُ حداً للبلاغة"[3].

ولأهميـــة الوصل والفصل فقد تناولهما البلاغيون بصورةٍ واسعة ، وعرفوهما بأنهما العلم بمواضع العطف والاستئناف، فالوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه والتمييز بينهما"[4]، كما حددوا مواضع لكل من الوصل والفصل"[5].

وبلاغة الوصل لا تتحقق إلا بـــ (الواو) العاطفة، دون بقية حروف العطف لأن (الواو) هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها، إذ لا تـــــفيد إلا مجرد الربط وتشريك ما قبلها بمـــا بعدها في الحكم الإعرابـــي، بخلاف العطف بغيرها فتفيد مع التشريك معاني أخرى[6].

وفضلاً عـــن الإشراك الشكلي للفصل والوصل، هناك الإشراك الدلالي والمعنوي " ولا يتصور إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه"[7]، لعمق الصلة بين الوصل والفصل اعتماداً على المستوى العميق كأساس لإنتاج الظاهرتين في المستوى السطحي، إذ يتحقق الوصل

في صورتين إحداهما ظاهرة بفضل أداة الربط، والثانية مضمرة وتتحقق بمجرد القران (الفصل) دون أداة.[8]

وفي بحثنا هذا اعتمدنا على أسلوب الوصل والفصل للكشف عن أنساق الجمل في الآيات القرآنية ضمن أسلوبيـــة الانزياح، من خلال تفسير الألوسي فتارة نرى الجمـــل قد وصلت ببعضهـــا وأخرى نراهـــا مفصولة ترك الوصل بينها بناءً على الصيغ المتواجدة فيها، إذ إن " أحد المبادئ التي تحكم فصل الخطاب أو وصله صيغتـــه ، فإذا كانت الصيغة متماثلة حكاية أو خبراً وُصل الخطاب ، وإن كانت مختلفـــة فصل"[9]، وبعد ذلك يأتـــي السياق ليرجح حالة على أخرى.

1_الوصـــــل:

- **عطف الخاص على العام:**

يأتي عطف الخاص على العام عندما تكون الجملة الثانية تفصيل وتوضيح للأولى أو لأغراض أخرى يراها المتلقي, "فنكات عطف الخاص على العام لا تخفى كثرتها على ذوي الأفهام [10]

فيكون للتعظيم كما في قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة:11]

يقول الألوسي: "وعطف – الذين أوتوا العلم – على الَّذِينَ آمَنُوا من عطف الخاص على العام تعظيما لهم بعدّهم كأنهم جنس آخر، ولذا أعيد الموصول في النظم الكريم"[11]

كما يكون للاهتمام والاعتناء نحو قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا

غَوَى ﴾ [النجم :2] والشاهد في هذه الآية هو وصل الضلال بالغي، والفرق بينهما: أن الضلال أعم استعمالاً في الوضع ، تقول ضل بعيري ورحلي ، ولا تقول غوى ، فالمراد من الضلال أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقاً أصلا ، والغواية أن لا يكون له طريق إلى المقصد مستقيم يدلك على هذا أنك تقول للمؤمن الذي ليس على طريق السداد إنه سفيه غير رشيد ، ولا تقول إنه ضال"[12]

وعن وظيفة هذا الوصل يقول الألوسي:" وَما غَوى أي وما اعتقد باطلا قط لأن الغي الجهل مع اعتقاد فاسد وهو خلاف الرشد فيكون عطف هذا على ما ضَلَّ من عطف الخاص على العام اعتناء بالاعتقاد، وإشارة إلى أنه المدار."[13]

- الوصل بين مجموع قصتين:

وورد الوصل في القرآن الكريم بين مجموع قصتين تجتمعان في غرض ومعنى واحد، نحو ما ورد في سورة غافر التي بنيت مجمل آياتها للرد على المجادلين المنكرين للتوحيد والبعث، ففي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]

يقول الألوسي: "والعطف في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ﴾ من عطف مجموع قصة على مجموع أخرى لاستوائهما في الغرض، ولهذا لما تمم هذه القصة أعني قوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ﴾ إلى قوله عز وجل : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [غافر : 60–68] صرح بالغرض في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين يجادلون في ءايات الله ﴾ [غافر : 69] كما بني القصة أولاً على ذلك في قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الذين يجادلون في آيات الله بِغَيْرِ سلطان ﴾ [غافر : 56] ولو تؤمل في هذه السورة الكريمة حق التأمل وجد جل الكلام

مبنياً على رد المجادلين في آيات الله المشتملة على التوحيد والبعث وتبيين وجه الرد في ذلك بفنون مختلفة، ثم انظر إلى ما ختم به السورة كيف يطابق ما في بدايتها من قوله سبحانه : ﴿ فَلاَ يغررنك تَقَلُّبُهُمْ ﴾ [غافر : 4] وكيف صرح آخراً بما رمز إليه أولاً لتقضي منه العجب فهذا وجه العطف."[14]

- **الوصل لتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي:**

وهذا عند اجتماع مجموعة من الصفات في موصوف واحد، نحو قوله تعالى: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾ [النازعات 1-2]

جاء في تفسير الألوسي : "والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما مر غير مرة للإشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمات الأمور حقيق بأن يكون على حياله مناطاً لاستحقاق موصوفة للإجلال والإعظام بالإقسام به من غير انضمام الأوصاف الأخر إليه ولو جعلت النازعات ملائكة العذاب والناشطات ملائكة الرحمة كان العطف للتغاير الذاتي على ما هو الأصل"[15]

- **الوصل بين الجملة الخبرية والانشائية:**

اختلف في جواز عطف الخبر على الإنشاء وعكسه فمنعه البيانيون وابن مالك وابن عصفور ونقله عن الأكثرين وأجازه الصفار وجماعة [16]، والوصل بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي "يهدف إلى تحقيق أغراض بلاغية تتوزع على الوظيفة الانفعالية (المتكلم)، والوظيفة الإفهامية (المتلقي) كدلالة الرضا بالواقع الصياغي حتى كأنه مطلوب تحقيقه في الواقع الفعلي" [17]، وعدّد بعض الباحثين اثني عشر موضعاً في القرآن الكريم عطفت فيها الخبرية على الإنشائية والعكس[18]

أما الألوسي فيمنع عطف الجملة الخبرية بالجملة الإنشائية، وأما مارآه

في القرآن فيضع له تأويلا، أو يقدر محذوفا. ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 282]

فوصل فعل الأمر﴿ اتقوا ﴾ والذي يمثل الجملة الإنشائية بالفعل المضارع ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ﴾ والذي يمثل الجملة الخبرية "لأن ﴿ اتقوا الله ﴾ حث على تقوى الله تعالى ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الله ﴾ وعد بإنعامه سبحانه ﴿ والله بِكُلّ شَيْء عَلِيمٌ﴾ تعظيم لشأنه عز شأنه، ومن هنا علمت وجه العطف فيها من اختلافها في الظاهر خبراً و إنشاءاً"[19]

فالألوسي في هذه الآية تابع المفسرين السابقين له في كون الجملتين الأخيرتين لإنشاء الوعد والمدح والتعظيم، وهو تأويل لا يسلم به لعدم وجود قرينة من السياق تبين ذلك، والأصوب أن الواو لمجرد الربط اللفظي وكل جملة مستقلة عن غيرها لأنها جمل استئنافيه،" فجعلت كل جملة منها مستقلة بنفسها لا تحتاج إلى ربط بالضمير، بل اكتفي فيها بربط حرف العطف، وليست في معنى واحد، فالأولى: حث على التقوى، والثانية: تذكر بالنعم، والثالثة: تتضمن الوعد والوعيد."20 وبينها رباط معنوي ولفظي يسبكها سبكا واحدا، وهذا ما يؤكده تكرار لفظ الجلالة.

ويرى الألوسي أنه لا يصح أو لا يحسن التخالف بين الجملتين المعطوفتين الإنشائية والخبرية، نحو ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم: 46]

ففي هذه الآية يقدر محذوفا في الكلام ويسوق رأي الزمخشري أن فعل الأمر واهْجُرْنِي عطف على محذوف يدل عليه التهديد أي فاحذرني واتركـــــني .[21]

و رغم اختلاف الجملتين في أسلوبهما إلا أن المتأمل في هذه الآية يجد ارتباطا وتوافقا في المعنى وهو التهديد بالعقوبة المختلفة نوعها أي: الرجم أو

الهجر، ولم يقل: أرجمك وأهجرك، " وإنما أمر أبو إبراهيم ابنه بهجرانه ولم يخبره بأنه هو يهجره ليدل على أن هذا الهجران في معنى الطرد والخلع إشعارا بتحقيره". [22]

ومن المواضع التي اختلف فيها موضع الواو، ما جاء في قوله تعالـــى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: 73]

ففي تفسيره لهذه الآية يبين المعاني التي أفادها الوصل بالواو، قال الألوسي: "﴿ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ جوز أن يكون عطفاً على صلة ﴿ مَا ﴾ وأن يكون مستأنفاً للأخبار عن حالة الآلهة؛ واستطاع متعد ومفعوله محذوف هو ضمير الملك أي لا يستطيعون أن يملكوا ذلك ولا يمكنهم، فالكلام تتميم لسابقه وفيه من الترقي ما فيه فلا يكون نفي استطاعة الملك بعد نفي ملك الرزق غير محتاج إليه، وإن جعل المفعول ضمير الرزق كما جوزه في الكشاف يكون هذا النفي تأكيداً لما قبله. وأورد عليه أنه قد قرر في المعاني أن حرف العطف لا يدخل بين المؤكد والمؤكد لما بينهما من كمال الاتصال، ودفع بأن ذلك غير مسلم عند النحاة وليس مطلقاً عند أهل المعاني ألا ترى قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ : 4 ، 5] نعم يرد عليه حديث أن التأسيس خير من التأكيد، ويجوز ولعله الأولى أن يكون الفعل منزلاً منزلة اللازم فيكون المراد نفي الاستطاعة عنهم مطلقاً على حد يعطي ويمنع المعنى أنهم أموات لا قدرة لهم أصلاً فيكون تذييلاً للكلام السابق، وفيه ما فيه على الوجه الأول وزيادة "[23].

فحمل الوصل في هذه الآية دلالات مختلفة:

– أن تكون هذه الجملة الموصولة تتميما[24]، في حالة تقدير مفعول (يستطيعون) هو ضمير الملك.

_ أن تكون هذه الجملة الموصولة تأكيدا، في حالة تقدير مفعول (يستطيعون) هو ضمير الرزق.

_ أن تكون هذه الجملة الموصولة تذييلا[25]، في حالة إنزال الفعل (يستطيعون) منزلة اللازم.

وإن كان الألوسي يؤيد الرأي الثالث ويجعله الأولى من بين هذه الدلالات، إلا أنه يمكن القول بأن جميع هذه المعاني مرادة فحصل بذلك التكثيف في المعنى، "فالقرآن الكريم تعبير فني مقصود. كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعا فنيا مقصودا، ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله "[26]

2_الفصـــل:

ويكون الفصل بين جملتين لكمال الاتصال، وهو أن تتفق الجملتان في الإنشائية والخبرية لفظًا ومعنى، أو معنى فقط. وذلك لما بين الجملتين من قوةٍ وترابطٍ لا تحتاج معه إلى رابطٍ، وقوة هذا التلاحم بينهما تعود إلى عدة أسباب:

***كأن تكون الجملة نتيجة لما قبلها،** كما في قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: 202]

جاء في روح المعاني: "والتعبير باسم الإشارة للدلالة على أن اتصافهم بما سبق علة للحكم المذكور ولذا ترك العطف هاهنا لكونه كالنتيجة لما قبله[27]

* **أو تكون جملة مرشحة للكلام المبكت،** أي: الكلام الذي وقع فيه التهديد والتوبيخ، كما في قوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى *أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ [العلق: 11، 12]، وسياق هذه الآيات جاء حول التهديد بالحشر والنشر، والمعنى أنه

تعالى عالم بجميع المعلومات حكيم لا يهمل، عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فلا بد وأن يوصل جزاء كل أحد إليه بتمامه فيكون هذا تخويفاً شديداً للعصاة"[28]، وجملة (ألم يعلم) واقعة في محل جواب الشرط جاءت مفصولة للترشيح أو للزيادة في التهديد والتوبيخ.

يقول الألوسي: "وفي الإتيان بالجملة الأخيرة من دون العطف ترشيح للكلام المبكت وتنبيه على أحقية الشرط ولهذا صرح بجوابه ليتمحض وعيداً "[29]

* **أو تفصيلا بعد إجمال،** وهذا عندما ترد في الجملة الأولى أمورا عدة تحتاج إلى تفصيل فتأتي الثانية لتفصل هذا الإجمال، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة: 271] ففي هذه الآية نوع من التفصيل لبعض ما أجمل في الشرطية في الآية السابقة لها: {وما أنفقتم من نفقة}، يقول الألوسي : "فالجملة نوع تفصيل ما أجمل في الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما[30]

***أو ان تكون الجملة الثانية بدلا من الجملة الأولى،** لكونها أدل على الغرض وأوفى بالمطلوب من جهة، وللعناية بشأنها من جهة[31] ، نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133]

يقول علامة بغداد:"﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ ﴾ بدل من ﴿ إِذْ حَضَرَ ﴾ بدل اشتمال وكلاهما مقصودان كما هو المقرر في إبدال الجمل إلا أن في البدل زيادة بيان ليست في المبدل منه ولو تعلقت إذ هنا ب ﴿ قَالُواْ ﴾ لم ينتظم الكلام ".[32]

ومثله أيضا قوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ

بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: 170]

جاء في تفسيره: "﴿ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ بدل من الذين، بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال إخوانهم لا بذواتهم أي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال إخوانهم الذين تركوهم أحياء"[33]

***أو استئناف بياني:** كأن تأتي الجملة الثانية جوابا عن سؤال فهم من الجملة الأولى، وهذا النوع فيه إغناء للسامع عن تكلف السؤال، وإعمال لفطنته وإغناء لعقله في تقدير السؤال وربط الكلام، بالإضافة إلى ما في هذا الأسلوب من الإيجاز والاختصار، ومواضع هذا الضرب كثير في القرآن الكريم من بينها ما جاء في قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: 34] يقول: "وفصل الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عما قبله استئنافا لأن التسلية السابقة حركت منه صلّى اللّه عليه وسلّم بأن يسأل فإذا بماذا أجيبهم وما يكون قولي لهم؟ فقيل قل لهم الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم إلخ " [34]

وفي قوله تعالى:﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ [الأعراف: 113] ذكر قولهم هنا بأسلوب "الاستئناف البياني ولذا لم يعطف كأنه قيل: فماذا قالوا له عند مجيئهم إياه؟ فقيل : قالوا إلخ"[35]

ومثله في قوله تعالى: ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ...﴾ [الأعراف: 156]

يقول الألوسي:"﴿ قَالَ ﴾ استئناف بياني كأنه قيل : فماذا قال الله تعالى له بعد دعائه؟ فقيل : قال : ﴿ عذابي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء ﴾"[36]

***أو الفصل لإفادة البيان:** وذلك بأن تنزل الجملة منزلة عطف البيان

من متبوعه لإفادة الإيضاح، والذي يدعوا إلى ذلك أن يكون في الأولى بعض الخَفاء الداعي إلى إزالته فتأتي الثانية لتزيل هذا الخَفاء. نحو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 107]

يقول الألوسي: " أي قد علمت أيها المخاطب أن الله تعالى له السلطان القاهر، والاستيلاء الباهر، المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي إيجاداً وإعداماً، وأمراً ونهياً حسبما تقتضيه مشيئته، لا معارض لأمره، ولا معقب لحكمه، فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته شيء من الأشياء؟ فيكون الكلام على هذا كالدليل لما قبله في إفادة البيان، فيكون منزلاً منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح، فلذا ترك العطف. " [37]

* **الفصل في مواضع الدعاء:** وأكثر ما يأتي الفصل في الأدعية لاختلاف المطالب واستقلالها، ففي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: 193، 194]

يقول:" وترك العطف في هذه الأدعية المفتتحة بالنداء بعنوان الربوبية للإيذان باستقلال المطالب وعلو شأنها"[38]

وفي الدعاء أيضا نجد قوله تعالى: ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: 29 – 32]

جاء في تفسيره: "وفصل الدعاء الأول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فإن شد الأزر عبارة عن جعله وزيراً "[39]

3_الفصل والوصل والسياق القرآني:

وهذا من ألطـــف ما نجده في هذا الباب والذي تتجلى فيه دقـــة

التعبيـــر القرآني وروعـــة أسلوبـــه البياني هو ورود هذا الثنائي(الوصل والفصل) معاً في آيـــة واحدة معبرة عن معانيها، ومحققة دلالات جديدة، وانتبه الألوسي إلى هذه الظاهرة الأسلوبية الدقيقة في نظم القرآن، فيلتفت إلى الجملة التي تأتي في سياق مفصولة عما قبلها من جمل، وتأتي في سياق آخر وقد وصلت بما قبلها، وذلك لأن المعنى قد لا يتسق إلا بالوصل أو لا يتسق إلا بالفصل، فما الفصل والوصل إلا وسيلة فنية لتحقيق أهداف المعنى المقصود.

ولقد يعرض في هذا الوجه اللغوي أسرارًا دقيقة لو سئل المرء البيان عن وجه الحسن فيها لعجز عن وصفه، بل لو سئل أين موضع الوصل منها لصعب عليه تحديده بقاعدة علمية. على أنه لو تناسى تلك الألقاب الاصطلاحية والأسئلة الفضولية وخلى نفسه ووجدانها ثم اتصل بهذه المواضع تلاوة أو استماعًا لما شعر بينها بشيء من الخروج أو الانتقال ينبوا عنه الذوق أو يتعثر فيه السمع، بل يحس بينها بروح الاتصال وحلاوة الانتقال من قبل أن يهتدي لناحية محدودة أو علة معينة"[40].

ونجد هذا الأسلوب في آية واحدة، أو في الآيات المتشابهة لفظا في سورة قرآنية واحدة، أو عدة سور، وفي أسلوب الحوار والمقاولة.

ويأتي الفصل بين المفردات عند ذكر مجموعة من الصفات تجتمع في شيء واحد، وتوصل عند تغاير الصفات في آية واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم: 5]

جاء في تفسيره: "وترك العطف في الصفات السابقة لأنها صفات تجتمع في شيء واحد وبينها شدة اتصال يقتضي ترك العطف ووسط العاطف هنا للدلالة على تغاير الصفتين وعدم اجتماعهما في ذات واحدة.[41]

فترك العطف في الصفات الأولى لأجل التنصيص على ثبوت جميع تلك الصفات لكل واحدة منهن ولو عطفت بالواو لاحتمل أن تكون الواو للتقسيم، أي: تقسيم الأزواج إلى من يثبت لهن بعض تلك الصفات دون بعض، ولاستحالة اجتماع الصفتين الأخيرتين في زوجة واحدة جاءت معطوفتين.

نحو وصل الآيات الأخيرة من سورة الإخلاص قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ *وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: 1 – 4]

يقول علامة بغداد: " ولعل وقوع الجمل الثلاث متعاطفة دون ما عداها من هذه السورة لأنها سيقت لمعنى وغرض واحد وهو نفي المماثلة والمناسبة عنه تعالى بوجه من الوجوه وما تضمنته أقسامها لأن المماثل إما ولد أو والد أو نظير غيرهما فلتغاير الأقسام واجتماعها في المقسم لزم العطف فيها بالواو كما هو مقتضى قواعد المعاني"[42] وهذا عكس الآيات الأولى من السورة التي جاء موصولة ومستقلة للإخبار على سبيل الاستئناف، كقولنا مثلا: زيد العالم زيد الشجاع.

ويتحد لفظ آيتين في سورة واحدة، ولكن تأتي إحداهما موصولة بما قبلها بالواو، والأخرى مفصولة لعدم ارتباطها بما قبلها ولكل فائدة ومعنى معين مقصود.

قال تعالى في سورة ق:﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ [ق: 23] وورد في موضع آخر وفي نفس السورة: ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ [ق: 28]

جاء في روح المعاني: " وإنما استؤنفت هذه الجملة استئناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما أنها جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى: (رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ) فإنه مبني على سابقة كلام اعتذر به الكافر كأنه قال : هو

أطغاني فأجاب قرينه بتكذيبه وإسناد الطغيان إليه بخلاف الجملة الأولى فإنها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين"[43]

فالآية الأولى تجمع بين معنيين مجتمعين وهو أن كل نفس يوم القيامة تجيئ ومعها سائق ويقول الشهيد ذلك القول، أما الآية الأخرى جاءت جملة استئنافية واقعة في أسلوب المقاولة بين الكافر وقرينه، وهذا يقتضي الفصل " لأن الأولى تثير سؤالاً جوابه الجملة الثانية، ولذلك فهـــي مرتبطة بالأولى ارتباطا وثيقـــاً كارتباط الجواب بالسؤال، ولذلك فصلت"[44]

وهذا النوع من الفصل في أساليب المقاولة أشار إليه عبد القاهر في باب الفصل والوصل[45]، ومثل هذا الأسلوب كثير في محاورات القرآن الكريم ، ومنه ما جاء في حوار الملأ من قوم ثمود في سور مختلفة (وَقالَ الْمَلَأُ) ، مرة موصولة بالواو كما في سورة المؤمنين[46]، ومرتين بغير واو كما في سورة الأعراف[47] وهود[48]، ويرجع الألوسي ذلك إلى السياق وتفاوت مقام الكلام، فيقول: " وجيء بالواو العاطفة في (وَقالَ الْمَلَأُ) هنا، ولم يجئ بها بل جيء بالجملة مستأنفة استئنافا بيانيا في موضع آخر لأن ما نحن فيه حكاية لتفاوت ما بين المقالتين أعني مقالة المرسل ومقالة المرسل إليهم لا حكاية المقاولة لأن المرسل إليهم قالوا ما قالوا بعضهم لبعض وظاهر إباء ذلك الاستئناف وأما هنالك فيحق الاستئناف لأنه في حكاية المقاولة بين المرسل والمرسل إليهم واستدعاء مقام المخاطبة"[49]

يفهم من كلامه أن ما طرح فيه الواو جاء في أسلوب المقاولة، فيكون كلاما مستأنفا، وأما ما ورد فيه الواو فعطف لما قالوه على ما قاله أي: قول المرسل والمرسل إليهم.

وقد تكرر نداء القوم في سورة غافر، مرة بالفصل وأخرى بالوصل،

جاء في محكم التنزيل: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ [غافر: 38 – 41]

ويفرق الألوسي بين الموضعين: " وترك العطف في النداء الثاني وهو يا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إلخ لأنه تفسير لما أجمل في النداء قبله من الهداية إلى سبيل الرشاد فإنها التحذير من الإخلاد إلى الدنيا والترغيب في إيثار الآخرة على الأولى وقد أدى ذلك فيه على أتم وجه وأحسنه ولم يترك في هذا النداء لأنه ليس بتلك المثابة وذلك لأنه للموازنة بين الدعوتين دعوته إلى دين اللّه الذي ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار، وليس ذلك من تفسير الهداية في شيء بل ذلك لتحقيق أنه هادوا أنهم مضلون وأن ما عليه هو الهدى وما هم عليه هو الضلال فهو عطف على النداء الأول أو المجموع"[50]

–فالفصل في النداء الثاني جاء لتفسير ما سبق وهو تفصيل بعد إجمال.

–والوصل في النداء الثالث للموازنة بين الدعوتين دعوته إلى دين اللّه الذي ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار، أو" للتخطى من غرض إلى غرض وأنه سيطرق ما يغاير أول كلامه مغايرة ما تشبه مغايرة المتعاطفين في لغة العرب، وأنه سيرتقي باستدراجهم في درج الاستدلال إلى المقصود بعد المقدمات"[51]

ويتكرر قوله تعالى: (يسألونك) في سورة البقرة في ستة مواضع[52]، ثلاثة منها بالواو، وثلاثة بغير واو، فما جاء بالواو دل على أن هذه الأسئلة وقعت في وقت واحد، فلذلك اقتضت العطف، وما جاء بغير واو دل على

حصولها في أوقات متفرقة.

قال تعالى: ﴿ يسألونك ماذا ينفقون ﴾

﴿ يسألونك عن الشهر الحرام﴾

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر﴾

﴿ يسألونك ماذا ينفقون﴾

﴿ ويسألونك عن اليتامى ﴾

﴿ويسألونك عن المحيض﴾

جاء في تفسيره : "ولعل حكاية هذه الأسئلة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل في وقت واحد عرفي، وهو وقت السؤال عن الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ فكأنه قيل: يجمعون لك بين السؤال عنهما والسؤال عن كذا وكذا وحكاية ما عداها بغير عطف لكونها كانت في أوقات متفرقة فكان كل واحد سؤالا مبتدأ ولم يقصد الجمع بينهما بل الإخبار عن كل واحد على حدة، فلهذا لم يورد الواو بينها"[53]

وقد ذكر السيوطي هذا الوجه ونسبه إلى الكرماني فيقول: "لأن سؤالهم عن الحوادث الأول وقع متفرقا وعن الحوادث الأخر وقع في وقت واحد فجيء بحرف الجمع دلالة على ذلك"[54]

ويأتي بعض متشابه القرآن[55]مفصولا تارة، وموصولا تارة أخرى، وذلك حسب السياق الذي يقتضيه.

نحو قوله تعالى: ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ [البقرة: 49]

وقوله تعالى: ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ [إبراهيم: 6]

جاء في روح المعاني: "وحاصل ذلك أنه حيث طرح الواو قصد تفسير

العذاب وبيانه فلم يعطف لما بينهما من كمال الاتصال وحيث عطف لم يقصد ذلك، والعذاب إن كان المراد به الجنس فالتذبيح لكونه أشد أنواعه عطف عليه عطف جبريل على الملائكة عليهم السلام تنبيها على أنه لشدته كأنه ليس من ذلك الجنس، وإن كان المراد به غيره كالاستعباد فهما متغايران والمحل محل العطف، وقد جوز أهل المعاني أن يكونا بمعنى في الجميع وذكر الثاني للتفسير، وترك العطف في السورتين ظاهر والعطف هنا لعد التفسير لكونه أوفى المراد وأظهر منزلة المغاير وهو وجه حسن أيضا"[56]

فالألوسي يرى أن الفصل جاء في الآية الأولى للتفسير والبيان، أما الوصل في الآية الثانية فهو من باب عطف الخاص على العام.

ويرى _الباحث_ أن الشيخ الشعراوي كان أكثر تفصيلا وتوضيحا لمزية الفصل والوصل في هذه الآيات فيقول: "إن الكلام لم يصدر في الآيات عن مصدر واحد، بل صدر عن مصدرين. ففي آية سورة البقرة كان المصدر المتكلم هو الله سبحانه ولذلك قال: ﴿نَجَّيْنَاكُم ... ﴾ [البقرة: 49] .

ولكن المصدر المتكلم في سورة إبراهيم هو موسى عليه السلام؛ لم يَقُل أنه هو الذي أنجاهم بل يُعدِّد النعم التي مَنَّ الله بها عليهم؛ ويمتنّ بها عليهم. وعِلَّة ذلك أن العظيم حين يمتنُّ على غيره لا يمتنُّ إلا بالعظائم، أما دون العظيم فقد يمتنُّ بما دون ذلك."[57]

فربط الآية بالسياق العام للسورة, والآيات السابقة، وتفاوت مصدر المتكلم هو الذي يوضح أسرار الفصل والوصل.

وهكذا يتضح لنا أن (الوصل والفصل) شكلا ظاهرة أسلوبية مميزة في الآيات القرآنية، فقد جاءت في غايــة الجودة والحسن لتكشــف عن جماليــة النصوص القرآنيــة وإعجازهــا البلاغي لما حققته من معــانٍ ودلالاتٍ جديدة وفق تعبير دقيق محدد بعينــهِ. واستطاع الألوسي بفضل سلامة ذوقه

وملكته اللغوية وحسه الأدبي أن يبين مواضعه في القرآن الكريم، والاهتداء إلى مواطن الحسن في أكثره.

هوامش الدراسة:

[1] دلائل الإعجاز ص231

[2] دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني المحقق: محمود محمد شاكر مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة – 1992م، ص 171

[3] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، 1998م ص145

[4]ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 2004م، ج7ص60، والإيضاح، القزويني :ص145

[5]مواضع الفصل هي كمال الاتصال ،وكمال الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال ، وشبه كمال الانقطاع ، والتوسط بين الكمالين ، أما مواضع الوصل فهي : الإشراك في الحكم الأعرابي وان تتفق الجملتان خبراً وإنشاء وبينهما مناسبة تامة ، وإذا اختلفتا خبرا وإنشاء واوهم الفصل خلاف المعنى المقصود . ينظر الايضاح : 146/1 ــ 157.

6من حروف العطف (الفاء) وتفيد الترتيب من غير تراخ، و(ثم) توجبه مع تراخ ، و(أو) تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما ، فإذا تم عطف الجملة على الجملة بواحد منها ظهرت الفائدة . ينظر دلائل الإعجاز :172

[7] دلائل الإعجاز :224

[8]ينظر البلاغة العربية (قراءة أخرى)، محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ــ لونجمان.ص307–308.

[9]لسانيات النص (مدخل الى انسجام الخطاب)، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1991م ص108

[10] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق : على عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية ــ بيروت، 1415 هـ، (1/ 123).

[11] المصدر نفسه ــ (14/ 223)

[12] مفاتيح الغيب ــ فخرالدين الرازي، دار الكتب العلمية – بيروت – ط1، 1421هـ ــ (28/ 242)

[13] روح المعاني ــ (14/ 45)

[14] روح المعانى ــ (12/ 334)

[15] روح المعانى ــ (15/ 224)

[16] ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1394هـ، ج2/382.

[17] تحولات البنية في البلاغة العربية، أسامة البحيري، دار الحضارة للطبع والتوزيع ، طنطا مصر، ط1، 2000م، ص123 .

[18] ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ج3 ص538 ومابعدها.

[19] روح المعانى ــ (2/ 60)

[20] البحر المحيط ــ أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، ط1، 2001 م،
(2/ 371)

[21] روح المعاني (8/ 416) وينظر: الكشاف، الزمخشري، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (3/ 23).

[22] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – 1997 م (16/ 120).

[23] روح المعاني (7/ 430).

[24] التتميم أو التكميل وهو: وهو أن توفى المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة؛ ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظا يكون فيه توكيده إلا تذكره.

ينظر: الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو الهلال العسكري، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، 1419 هـ (ص: 389).

[25] التذييل: وهو أن يؤتى بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على المعنى الأول لتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه.ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (3/ 250)

[26] التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار عمار، الأردن، ط4، 2006م، ص6 .

[27] روح المعاني (1/ 487)

[28] ينظر: مفاتيح الغيب، فخرالدين الرازي (32/ 23)

[29] روح المعاني (15/ 406)

[30] روح المعاني (2/ 43)

[31] ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، ط9، 2004 م ص423 .

[32] روح المعاني (1/ 388)

[33] المصدر نفسه: (2/ 335)

[34] المصدر نفسه: (10/ 18).

[35] المصدر نفسه: (5/ 25)

[36] روح المعاني (5/ 72)

[37] المصدر نفسه: (1/ 353)

[38] المصدر نفسه: (2/ 377)

[39] روح المعاني (8/ 498)

[40] النبأ العظيم، عبدالله دراز، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، (ص: 195)

[41] روح المعاني (14/ 350)

[42] روح المعاني (15/ 515)

[43] روح المعاني (13/ 336)

[44] أسلوبية الحوار في القرآن الكريم، رسول حمود حسن حبيب الدوري، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ــ جامعة بغداد،1995.ص 14-143

[45] ينظر دلائل الاعجاز ص240.

[46] المؤمنون 33

[47] الأعراف 66

[48] هود 53

[49] روح المعاني (9/ 231)

[50] روح المعاني (12/ 324)

[51] ينظر التحرير والتنوير (24/ 152)

[52] البقرة: 215/ 217/ 219/ 219/ 220/ 222.

[53] روح المعاني (1/ 514)

[54] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (3/ 388)

[55] والقصد به إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة بل تأتي في موضع واحد مقدما وفي آخر مؤخرا كقوله في البقرة: {وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة} وفي الأعراف: {وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا} وفي البقرة: {وما أهل به لغير الله} وسائر القرآن {وما أهل لغير الله به}, ينظر: الإتقان في علوم القرآن (3/ 390)

[56] روح المعاني (7/ 180)

[57] خواطر الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، مصر، (د،ط)، 1997، (12/ 7444) .